المبحث الخامس

التقديم والتأخير في الفاصلة القرآنية (دراسة تطبيقية)

من المعلوم أنّ التقديم والتأخير إنما يكونان بحسب الأهمية، والأهمية لا تعني الأفضلية، فقد يقدم المفضول على الفاضل والمتأخر على المتقدم أو بالعكس بحسب ما يقتضيه المقام والسياق كما في قوله تعالى: ﴿وَلَوْلَا دَفْعُ ٱللَّهِ ٱلنَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لَّهُدِّمَتْ صَوَٰمِعُ وَبِيَعٌ وَصَلَوَٰتٌ وَمَسَٰجِدُ يُذْكَرُ فِيهَا ٱسْمُ ٱللَّهِ كَثِيرًا ۗ وَلَيَنصُرَنَّ ٱللَّهُ مَن يَنصُرُهُۥٓ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَقَوِىٌّ عَزِيزٌ﴾[1] فأخر المساجد وهي أفضل الأماكن المذكورة.

وقال تعالى: ﴿وَٱلتِّينِ وَٱلزَّيْتُونِ ۝١ وَطُورِ سِينِينَ ۝٢ وَهَٰذَا ٱلْبَلَدِ ٱلْأَمِينِ﴾ فأخّر القسم بالبلد الأمين وهو أفضل المذكورات. وعليه فالتقديم والتأخير إنما يكونان بحسب ما يقتضيه المقام فقد يقدم لفظاً في مكان ويؤخره في مكان آخر بحسب ما يقتضيه المقام فقد يقدم لفظاً في مكان ويؤخره في مكان آخر بحسب ما تقتضيه البلاغة[2]. وقد يقدم المؤخر ويؤخر المقدم لغرض بلاغي أو لغرض يتعلق بالمعنى على ألا يخل ذلك بالمعنى ولا يخالف قواعد اللغة وأن يؤمن اللبس، وفي الجملة الفعلية، قد يقدم المفعول على الفعل في حالة عدم اللبس، فإن لم يؤمن اللبس وجب الترتيب المألوف وذلك مثل «ضرب موسى عيسى» فإنّ هذا التركيب يقتضي أن يترتب على النحو الآتي: الفعل، الفاعل، المفعول، فلا يجوز تقديم المفعول على الفاعل لعدم وجود قرينة تمنع التباس الفاعل بالمفعول.

---

(١) سورة الحج، الآية: ٤٠.

(٢) ينظر: من أسرار البيان: ١١٥.

مثال ذلك قوله تعالى: ﴿بَلِ ٱللَّهَ فَٱعۡبُدۡ﴾[1]، فالله تعالى مختص وحده بالعبادة دون غيره، وكذلك قوله تعالى: ﴿إِيَّاكَ نَعۡبُدُ وَإِيَّاكَ نَسۡتَعِينُ﴾[2]، لأنه لو قال: إياك نعبد ونستعين، لكان الكلام موهماً، لأنّ الاستعانة تكون لغيره، لأنه لم يعقلها في الكلام تعليقاً يمنع من هذا التوهم والاحتمال، فإذا قال: وإياك نستعين، زال الاحتمال وتخصص الكلام[3]. وقال الشيخ رشيد: «فالتقديم لغرض التخصيص»[4]. وقال أبو السعود أيضاً: «وتقديم المعمول للاعتناء به والقصد إلى التخصيص»[5]، وقال ابن عطية: «وقدم المفعول على الفعل اهتماماً وشأن العرب تقديم الأهم»[6].

ومن تقديم المفعول ما جاء في قوله تعالى: ﴿أَفَغَيۡرَ دِينِ ٱللَّهِ يَبۡغُونَ﴾[7] فقد قدم المفعول على فعله، قال السمين الحلبي: «... وقدّم المفعول الذي هو (غير) على فعله؛ لأنه أهم من حيث إنّ الإنكار الذي هو معنى الهمزة متوجه إلى المعبود بالباطل، وهذا كلام الزمخشري»[8].

ومن تقديم المفعول به على فعله لغرض الاختصاص قوله تعالى: ﴿ثُمَّ ٱلۡجَحِيمَ صَلُّوهُ﴾[9]. قال السمين الحلبي: «وقوله: ﴿ثُمَّ ٱلۡجَحِيمَ صَلُّوهُ﴾ تقديم

---

(١) سورة الزمر، الآية: ٦٦.

(٢) سورة الفاتحة، الآية: ٥.

(٣) ينظر: الدلالة والمعنى: ٢٤٠-٢٤١.

(٤) أولى ما قيل: ١/٤٦.

(٥) إرشاد الفصل السليم: ١/٩.

(٦) المحرر الوجيز: ١/٦٤.

(٧) سورة آل عمران، من الآية: ٨٣.

(٨) الدر المصون: ٢/١٥٧؛ وينظر: الكشاف: ١/٤٠٧.

(٩) سورة الحاقة، الآية: ٣١.

المفعول يفيد الاختصاص»[1] وهذا ما ذهب إليه ابن عادل وأبو السعود[2].

وقد يأتي التقديم لزيادة مدلول الجملة كما في قوله تعالى: ﴿وَإِيَّـٰىَ فَٱرۡهَبُونِ﴾[3]. قال الشيخ رشيد: «وللزيادة في مدلول الجملة، قدم ضمير الفصل»[4].

وقال الشوكاني: «وتقديم معمول الفعل يفيد الاختصاص»[5]. وهذا ما ذهب إليه أغلب العلماء[6].

وقال أبو حيان: «كما أنّ التقديم للفعل مشعر بالاهتمام المحكوم به»[7]. ومنها قوله تعالى: ﴿يَوۡمَ تَشَقَّقُ ٱلۡأَرۡضُ عَنۡهُمۡ سِرَاعًاۚ ذَٰلِكَ حَشۡرٌ عَلَيۡنَا يَسِيرٞ﴾[8].

قال الزمخشري: التقديم للاختصاص أي: لا يتيسر ذلك إلاّ على الله وحده»[9].

وقد يأتي التقديم لرعاية الفواصل ورؤوس الآي كما في قوله تعالى: ﴿وَهُمۡ فِيهَا خَٰلِدُونَ﴾[10]، قال السمين الحلبي: «(هم) مبتدأ، و(خالدون)

---

(١) الدر المصون: ٣١٧/٦.

(٢) ينظر: اللباب في علوم الكتاب: ٣٣٦/١٩؛ وإرشاد العقل السليم: ٢٦/٩.

(٣) سورة البقرة، من الآية: ٤٠.

(٤) ينظر: أولى ما قيل: ٤٦/١.

(٥) فتح القدير: ١١٦/١.

(٦) ينظر: البحر المحيط: ٣٣١/١؛ والتحرير والتنوير: ٤٤٢/١؛ وغرائب القرآن: ٢٧٢/١.

(٧) البحر المحيط: ١٦٨/١.

(٨) سورة ق، الآية: ٤٤.

(٩) ينظر: الكشاف: ٣٩٦/٤.

(١٠) سورة البقرة، الآية: ٢٥.

خبره، و(فيها) متعلق به، وقُدّم ليوافق رؤوس الآي»[1].

ومنها أيضاً قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ أَجۡرَمُواْ كَانُواْ مِنَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ يَضۡحَكُونَ﴾[2]، قال السمين الحلبي: «قوله: ﴿مِنَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ﴾ متعلق بـ﴿يَضۡحَكُونَ﴾ أي: من أجلهم، وقدم لأجل الفواصل»[3].

وهذا ما ذكره ابن عادل[4] ولم أجد من المفسرين من ذكر هذا الرأي وأمثلته متعددة[5].

وقوله تعالى: ﴿فَإِن يَكۡفُرۡ بِهَا هَٰٓؤُلَآءِ فَقَدۡ وَكَّلۡنَا بِهَا قَوۡمًا لَّيۡسُواْ بِهَا بِكَٰفِرِينَ﴾[6]. قال السمين الحلبي: «والباء في (بها) متعلقة بخبر (ليس) وقُدّم على عاملها للفواصل»[7].

ونجد أيضاً تقديم السمع على البصر وبالعكس، كما في قوله تعالى: ﴿فَجَعَلۡنَٰهُ سَمِيعَۢا بَصِيرًا﴾[8]. قالوا: لأنّ السمع أفضل وهو أهم في مجال الدعوة والتبليغ؛ لأنّ الأصم أبعد عن الفهم من الأعمى، أو لأسباب أخرى[9].

---

(١) الدر المصون: ١/١٦١.

(٢) سورة المطففين، الآية: ٢٩.

(٣) الدر المصون: ٦/٤٩٥.

(٤) ينظر: اللباب: ٢٠/٢٢٣.

(٥) ينظر: الدر المصون: ١/٢٩٥، ١/٥٧٨، ١/٦٧١، ٢/٥٧٧، ٤٥/٩٤، ٦/٦٠.

(٦) سورة الأنعام، من الآية: ٨٩.

(٧) الدر المصون: ٣/١١٧.

(٨) سورة الإنسان، الآية: ٢.

(٩) ينظر: التعبير القرآني: ٥٥.

وقد يقدم البصر على السمع كما في قوله: ﴿قُلِ ٱللَّهُ أَعۡلَمُ بِمَا لَبِثُواْۖ لَهُۥ غَيۡبُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۖ أَبۡصِرۡ بِهِۦ وَأَسۡمِعۡۚ مَا لَهُم مِّن دُونِهِۦ مِن وَلِيّٖ وَلَا يُشۡرِكُ فِي حُكۡمِهِۦٓ أَحَدٗا﴾[1]. فقدّم البصر على السمع وذلك أنّ الكلام على أصحاب.

وقوله تعالى: ﴿وَأَمَّآ إِن كَانَ مِنَ ٱلۡمُكَذِّبِينَ ٱلضَّآلِّينَ ٩٢ فَنُزُلٞ مِّنۡ حَمِيمٖ﴾[2] في هذه الآية ثم تقديم التكذيب على الضلال في أواخر السورة، ثم نجد النص القرآني في الآية الأخرى قدّم الضالين على المكذبين كما في قوله: «ثم إنكم أيها الضالون المكذبون» فلأنه تقدم في الآيات التي قبلها ذكر أصحاب الشمال وذكر أنهم كانوا قبل ذلك مترفين وأنهم كانوا يصرون على الحنث العظيم، وهذا من الضلال ثم ذكر بعد ذلك تكذيبهم بيوم البعث فقال: ﴿وَكَانُواْ يَقُولُونَ أَئِذَا مِتۡنَا وَكُنَّا تُرَابٗا وَعِظَٰمًا أَءِنَّا لَمَبۡعُوثُونَ ٤٧ أَوَءَابَآؤُنَا ٱلۡأَوَّلُونَ﴾[3] فناسب تقديم الضالين على المكذبين[4].

(١) سورة الكهف، الآية: ٢٦.

(٢) سورة الواقعة، الآية: ٩٢-٩٣.

(٣) سورة الواقعة، الآيتين: ٤٧-٤٨.

(٤) ينظر: من أسرار البيان: ١١٩-١٢٠.